



مذكرات

الشيخ أحمد بن محمد الحارثي

رَقَمَهَا عَلَى الْحَاسُوبِ: صَاحِبُ الْمَعْرِفِ (الرَّحْبِيُّ الْهَمْدَانِيُّ "سَالِمُ بْنُ حَمْدُونَ")
فِي مَوْقِعِ الْحَارَةِ الْعَمَانِيَّةِ عَلَى الرَّابِطِ أَدْنَاهُ:

<http://alharah2.net/alharah/showthread.php?t=32512>

نبذة عن صاحب المذكرات

لعل الكثير منا يجهل هذه الشخصية التي غابت عن كتاب التاريخ العماني، بالرغم من أنها شخصية عمانية ذات الطابع الديني والسياسي، والتي برزت بروزاً أوضح من بروز الشمس في كبد النهار وكانت من ضمن صنّاع القرار أيام السيد سعيد بن تيمور، هذا الرجل الذي تزوّج مولانا -حفظه الله- من كريمته قبل توليه عرش الحكم، وكان الساعد الأيمن للسلطان سعيد في تسيير شؤون البلاد الداخلية، فقد كان أميراً للمنطقة الشرقية وممثلاً للسيد سعيد في شمال السلطنة أثناء تواجد الأخير في المقاطعة الجنوبية، ولكن وبتولي جلالة السلطان قابوس معظم مقاليد الحكم في البلاد فقد أمر بوضعه في الإقامة الجبرية، وظل بها الى أن أطلق سراحه عام ١٩٨٢، بعدها رجع الى مسقط رأسه ولاية القابل والمسمّاة بقابل الشيخ نسبةً له، وظل كريماً عزيز النفس تتوافد عليه القبائل من كل حدبٍ وصوب، فتلقى برزته مليئة بالرجال الى أن توفاه الله في السادس من فبراير لعام ٢٠٠٢. وهنا يجدر بي أن أقدم تفصيلاً ميسراً عن هويّة هذه الشخصية، فهو الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي، فأجداده عيسى بن صالح وصالح بن علي غنيّين عن التعريف ولا داعي للإطالة، فهم أشهر من نارٍ على علم، وقد تسلم هذا الشيخ زمام مشيخة قبيلة الحرث وإمارة الهناوية إثر وفاة المغفور له أبيه الشيخ محمد بن عيسى. وكان رحمه الله من ضمن المعترضين على تنصيب الشيخ غالب بن علي الهنائي خليفةً للإمام محمد بن عبدالله الخليلي رحمهم الله لما يرى من أهليّة الشيخ عبدالله ابن الإمام سالم بن راشد الخروصي لهذا المنصب، فقد اجتمع بالإمام الخليلي وأسدَى له النصح بالوصاية للشيخ عبدالله ابن الإمام سالم الخروصي، إلا أن الإمام الخليلي رأى في شخصية القاضي غالب بن علي الشخصية المثلى في خلافته، فتمّ له ذلك، وهذه من الأسباب

التي جعلت الشيخ يعتزل دولة الإمامة، كما أن انفتاح الإمام غالب على الحكومة السعودية العدو التقليدي لدولة عمان الإباضية وتفردّه وأخيه الشيخ طالب بهذا الأمر دون استشارة للمشائخ جعل من الشيخ يعيد ترتيبات أوراقه فقد أحس بأن دولة الإمامة قد أصبحت حكراً لأشخاص معينين يديرون شؤونها، ناهيك عن أنها أصبحت عاجزة عن تلبية مطالب الشعب في الوقت الذي تشهد المنطقة ثورة نفطية هائلة، لذلك صمّم الشيخ على البحث عن مخرج للأزمات التي تحيط بعمان وأهلها فوجد ضالته في السيّد سعيد بن تيمور فتحالف معه على توحيد عمان وتحقيق مطالب الشعب وتنمية البلاد، ومنذ ذلك الحين أصبح الشيخ الناطق الرسمي باسم الشعب لدى السيد سعيد بن تيمور وباباً لمطالبهم، فسارت بأخباره القوافل والركبان وأصبح الشيخ مهوى أفئدة الناس وقاضياً يحل مشاكلهم ويسير أمورهم.

هذا ما لدي من معلومات عن هذه الشخصية المجهولة، والذي أتمنى من الأخوة الكرام ألا يخلوا علينا بما تكّنه أفئدتهم من معلومات عن هذه الشخصية الفذة.

ولكم خالص شكري.

الرحبي الهمداني (سالم بن حمدون)

22\04\2010م

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وجنده،
وبعد،،

فهذه نبذة صغيرة من حياتي الأخيرة التي طلب مني كثير من الاخوان أن أحررها ومن
بينهم أئكلمن الأمريكاني و دنيسن البريطاني، فقلت في نفسي أهم شيء ربما أنها لا
توافق جلالة السلطان، فبعض من الأصحاب أشار إليّ أن أرسلها برمتها إلى السلطان
إذا أراد نشرها أو تركها، إخفاءها أو إظهارها على نظره، وها هي برمتها واصله إليك،
وقد تركت من المذكرات الكثير والكثير والكثير.

الفصل الأول

فلما كان آخر عام ١٣٧٠ هجرية وكنت آنذاك والياً بجعلان رأيت في الحقيقة رؤيا أذهلتني وعرفت أن لها شأن، فكتب لي الإمام محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله يخبرني بوصول تركي بن عطيشان إلى البريمي، فارتجت لوصوله عمان .. فذهب كل من أهل عمان يتقرب إليه .. استدعاني الإمام الخليلي لأصل عنده إلى نزوى بعد عيد الحج، وفي هذه الأثناء وصلني الشيخ حليس بن خادم الهاشمي بكتاب من جلالة السلطان سعيد بن تيمور أحفظ منه بخط يده يقول فيه "إن من المستحسن أن يكون قيامك ببلدك للحاجة إليك ... وقال في آخره: "إن أردت الوصول إلى الطبيب الأمريكي فإنه من المستحسن". أنا في الحقيقة استغربت ذلك .. نعم .. وقال لي: "اسمع بعض الكلام من الشيخ حليس الواصل إليك" .. ولقد أخبرني الشيخ حليس بالحقيقة وبكلام أسهب فيه وأطنب، فبعد العيد توجهت إلى القابل وفي أثناء قيامي بها وصلني حمد بن حميد الراشدي من أهالي سناو قال أنه أرسله حارث بن مسلم العميري رسولاً من الأمير بن عطيشان إليك بكتاب منه، وجدت ذلك الوقت لا يسمونه أهل عمان إلا الأمير، فقلت للرسول: بأنني بعد أيام سأتوجه إلى الإمام ونلتقي هناك.

توجهت من القابل إلى إبراء وبقيت عند الشيخ سعود بن حميد بن خليفين الحارثي لأتشاور معه حالتي، وإن كنت قد وجدت أن المرض قد أخذ منه جانباً، ومنها توجهت مغرباً قاصداً الإمام، وبعدما وصلت نزوى بأيام وصلني حارث بن مسلم العميري، وقال لي بعدما ناجاني: إن الأمير ويعني بن عطيشان أرسلني إليك بثلاث، أولاً الصداقة بينك وبينه، وثانياً المكاتبه، وثالثاً أرسل معي هدية إليك. فقلت له: "الجواب غداً إن شاء الله". فتحدثت مع الإمام رحمه الله وأخبرته بما قال حارث واتفقت معه على الجواب، وما قصر حارث وصلني باليوم الثاني وقمت وأياه نجياً، وقلت له: "أما الجواب على الأولى فالصداقة في الداخل يعطيها الإمام وفي الخارج يعطيها السلطان، وبغير

هذين الاثنين فالصداقة كشيء غير معمولاً به، ولا أحب لنفسي الكذب، وأما الثانية فلو جئني بكتاب من الأمير لأجبتك عليه وقوفاً عند قوله تعالى: "إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"، أما الثالثة فأنا رجل فقير فالهدية هدية أمير ولا أقدر على تعويضها، لأنه لا سعة عندي" - فهذه أجاب عنها في الفور وقال "إن الهدية دراهم لا يريد الأمير العوض عنها وهي عشرون ألف قرش، وهي متروكة عندي في السحارة، ولا أريد منك إلا قبولها وإعطائي كتاب بذلك، فقلت له: "هذه أعذني منها وبعد مجادلات وثرثرات رضي الرجل وقال: "فكر إذا أردتها فهي حاضرة".

أقامت مع الإمام أكثر من شهر فكانت هناك مناظرات ومشاورات بين رجال الدولة، وفي الأخير رأى الإمام أرسالي إلى السلطان سعيد بن تيمور، فتوجهت إليه .. فلما وصلته قابلني باحترام وتقدير زائدين، ثم أبلغته رسالة الإمام التي أرسلني بها، فكان عزمهم المثار وحرصني عليه وخرجت من عنده وقد أمدنا بالمساعدات لنلتقي نحن وإياه في البريمي، فرجعت إلى الإمام، وكان الإمام رحمه الله في حالة مرض.

فخرجنا من مسقط ومررنا على بني هشام وكتبنا للعوامر فجاءونا، ثم جاء الشيخ العم صالح بن عيسى بجموع من أهل الشرقية لا يستهان بها، بعدما مضينا ثلاثة أيام في نزوى توجهنا إلى بهلاء، وعند وصولنا بهلاء وصلتنا كتب السلطان يقول فيها: "أنه بعدما وصل صحار تعرضت الدولة البريطانية للصالح وأنه وافقهم على ذلك فارجعوا"، فرجعنا إلى نزوى والإمام لم يتحرك فيما بعد. نعم نعود إلى وراء كرة ثانية، أخبرني الإمام بكتاب السلطان الذي وصلني في جعلان مرسلاً مع الشيخ حليس بن خادم وقلت له إن السلطان في نفسي لا يريدني أن أعرض نفسي على الطبيب لأنني لم أكتب له ذلك، وهذه من توريات الملوك، وكما ترى أهل عمان منقسمون على ثلاثة أحزاب حزب يريد السعودي وهو الأغلبية، وحزب يريد السعدي وهو قلة، وحزب يريد الإمام وهو ضئيل جداً ولا نريد كغيرنا أن تقول قولاً لا ثبات له، فقال الإمام: "أقول كنت يوماً عند الشيخ السالمي وذلك الوقت راجعاً من زيارة البلد هو والشيخ عيسى بن

صالح الحارثي وقام يمتدح البدو ويثني عليهم، فكان ذلك الوقت يحاول تنصيب الإمام، فقلت له: أيها الشيخ إذا لم يكن خير في الحضري، فلا خير في البدوي"، وأقول لك - والكلام موجّه للشيخ أحمد الحارثي - ، إذا لم يكن خير في السعدي فلا خير في السعودي، وإذا لم يكن خير في الإباضي، فلا خير في السنّي، وإذا لم يكن خير في سعيد بن تيمور فلا خير في سعود بن عبدالعزيز، فارتبط معه والتزم وأنا أمرتك بذلك. فأخذت منه كتاباً لما أعلمه من حالة العمانيين يقول فيه: "إنني أجزت لك أن تحضر جميع شيوخ قبائل الهناوية"، وفي الحقيقة دَعَوْنَا بهم أن يلاقونا في سناو وهم: العوامر، وهيبة، الحبوس، الشروج، الحجريون، بني رواحة، بني بو حسن، وغيرهم، فاجتمعنا جميعاً في سناو .. فقلت لهم: "إننا جمعناكم لما رأينا التشتت في أهل عمان، أولاً على مناصرة الإمام الخليلي ما دام حيّاً، وألاً نبائع إماماً من بعده وعلى أن يكون إمامنا وقائدنا السلطان سعيد بن تيمور، فتعاطينا على ذلك العهود والمواثيق وترايطنا عليه، فكتبنا كتاباً إلى الإمام نخبره بذلك وكتبنا كتاباً آخر إلى السلطان سعيد بن تيمور، وكان هذا الاجتماع في سنة ١٣٧٢ هجرية في شهر شعبان، و انفضّ الجمع، وحيث كنت صريحاً مع السلطان سعيد، وقد قال لي في غير جلسة أحب منك المصارحة لا المجاملة، فاجتمعت به وتناقشت معه، فأخبرته أن أهل عمان يعدّون على أباءك اثنين وثلاثين قضية، وكانت مسطرة في كتاب أبلغته إياه، وأهمّها حكم الحيل، ولا يخفى على القارئ أن رجلاً من العوامر حكم عليه بحكم، فقال العامري يا شيخ راشد (راشد بن عزيز الخصيبي كان قاضياً مع السلطان فيصل بن تركي): "أهذا حكم الله؟"، قال: "لا بل حكم فيصل".

إن لم تكوني بهذا الحكم راضيةً ،، فدونك هذا الحيل فاختنقي

فخرج العامري من عمان بلا عودة إليها ،فكان جوابه على الأثنين وثلاثين قضية:
"فتعهّد يا أحمد بن محمد عني في هذه القضايا".

الفصل الثاني

فكان يأخذ الإمام مرضاً أطاحه الفراش، ثم على أثر الاجتماع الذي جمعه بالشيخ سليمان بن حمير النبهاني وكان شيخ الغافرية على الإطلاق، وكان الشيخ إبراهيم بن سعيد العبدي والياً على عبدي، كَرَّ اليعاقب والغافرية على عبدي فأخذوها عنوة، فأستصرخ الإمام أنصاره من الشرق والغرب، فوصلنا نزوى، فأرسلني الإمام كَرَّة ثانية إلى مسقط وذلك في سنة ١٣٧٣ هجرية لطلب العون من السلطان، وقد كان في ظفار، فكان جواب السلطان أنه مستعد أن يمد الجيش بما يحتاجه حتى يصل عبدي ويرجع، وأعطاني المدد بقدر قيامهم من نزوى، فرجعت بالجواب إلى الإمام فوجدت هنالك الخلافات الكثيرة، و يا للأسف لأن الشيخ سليمان بن حمير لا يرى رأينا، طببت المسائل السياسية بقدر ما هدئت الأمور، فهذا ما كان من أمر عبدي.

الفصل الثالث

نرجع الآن إلى مصير الإمامة الذي بات وشيكاً، فاجتمعت مرةً ثالثة بالسلطان وقال لي بصراحة أن العمانيين نراهم بدّلوا سيرة الإمام والشيخ عيسى، حيث كانت ثورتهم دينية محضة وأن الأمور نراها قد اختلفت، فهؤلاء يريدون ملكاً وسلطاناً وقهراً، ونحن لا نرضى بدولتين في عمان فاتفقنا وإياه على الوحدة بعدما تعهّد لي بأشياء كثيرة لا حاجة لذكرها لأنها صارت كالشيء المنسي ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الفصل الرابع

نعود إلى حالتنا التي فارقنا عليها السلطان، فبيتنا في القابل على العهد وأمدنا جزاه الله خيراً، والأمور كلها تحت السر حتى شهر شعبان من السنة ١٣٧٣ هجرية، بعد ذلك وصل كتاب من الإمام الخليلي لصالح بن عيسى وصالح بن أحمد وأحمد بن محمد الحرث يُدْعَوْنَ إلى الوصول، يقول في الكتاب: "أن المسلمين اجتمعوا على خلافة غالب بن علي الهنائي، وخير من استخلفت القوي الأمين، ولا أحفظ نص الكتاب، فحضرنا للتشاور والتناظر في بلدة المضيرب فقلت لهم رأيي أن تتأخروا فليس المراد من حضوركم إلا الانتحار، فإن قلتم لا نوافق على الاستخلاف فكأنكم خرجتم برأي، وإن قلتم نوافق فمعناكم خرجتم عن إرادة السلطان سعيد بن تيمور، فاقعدوا فإن لم يعارض السلطان بشيء كنتم دخلتم بيتين ولا لوم عليكم، وإن عارض السلطان الاستخلاف فأنتم لم يبدو منكم شيئاً، ويكفيكم ما يكفي الجد عيسى بن صالح في تنصيب الإمام سالم بن راشد الخروصي، فوافق الوالد حمد بن سليمان على هذا الرأي وحبذه، ولكن العم صالح بن عيسى والوالد صالح بن أحمد عارضاً بشدة، وقالوا إن الاستخلاف نريده ولو لم يرده الإمام، ونحن سائرون غداً فإن كنت تحب أن تسير معنا يا أحمد فالدعوة لنا ولك، وإن كنت لا تريد فعلى نظرك.

خرجنا معاً نتناول القهوة مع أحمد بن عبدالله بن أحمد الحارثي فقامت أمتدح الصحابة وأذكر بيعهم وشرأؤهم، فقال لي صالح: "ما لي أراك اختلفت عن رأيك الأول؟"، فقلت له: "دخل المغيرة بن شعبة على علي بن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين خذ معاوية بالهويني، وأمره على الشام لبياعك وبياعك غيره، فإذا استقرت الأمور وهدأت الأحوال فأنت قادر على معاوية"، قال علي: "والله ما كنت لأفعل فلو توليت الأمر يوماً واحداً ما كنت متخذ المضلين عضداً"، خرج عنه ثم عاد إليه فقال له: "تظرت فيما قلته لك يا أمير المؤمنين فأقول رأيت إن الرأي رأيك، وإن ما قلته الحق فاعتمد عليه، فدخل

على إثره ابن عباس فقال: "مال ابن شعبة يتردد عليك؟"، قال هذا ما قاله لي في الأولى وما قاله في الثانية، قال: "نصحك في الأولى وغشك في الثانية". فكنت أقول للعم صالح بأنني نصحتك في الأولى وغششتك في الثانية فخرجنا من هناك مفترقين فلبوا دعوة الإمام ولبيناه نحن بعد يومين، فوصلنا نزوى جميعاً فدخلت على الإمام وعاتبته على الاستخلاف وإلى آخر ما قلته، فقال: "أيها الولد أحمد أنا كما تراني من معاناة المرض، فجاءني الأولاد هلال وسعود أبناء علي بن عبدالله الخليلي، وأكثروا عليّ وكتبوا الكتاب بأنفسهم وأنا أراها فتنة، وإنني راجع عن ذلك الاستخلاف مئة مرة فأخبر الناس عني، فخرجت من هناك وأخبرت العم صالح والوالد حمد بن سليمان معتقداً أن تلك الحقيقة التي يريدونها، فتبين لي من بعد أن العم صالح والشيخ سليمان بن حمير كانا قد اجتمعا في مكة منذ فترة، واتفقوا على الاستخلاف سواء وافق عليه الإمام أو لم يوافق، وما تلك إلا قميص عثمان بن عفان.

الفصل الخامس

عدنا إلى القابل وكنت مهتماً كثيراً بالوحدة وتمامها وكنت أبذل في ذلك كل ما في وسعي بالرغم من أنني كنت مهدداً بالأخطار، وأذكر قضية هي أن أحد المشائخ كان يعارض الوحدة، فذات يوم خرجت بعد صلاة المغرب على الركاب إذ لا عبرة غيرها، حاملاً معي اثني عشر ألف قرش، فكنت أكنم النهار وأسير الليل، بقيت على ذلك ثلاثة أيام حتى وصلت مع الزعيم العظيم في اليوم الرابع ولا أريد أن أذكر اسمه، فحادثته فكان يذكر عن السيد سعيد أشياء كثيرة يعدونها على آباءه وأجداده، فقلت له: "الوحدة فيها مصلحة لكم تعيش فيها كلمة واحدة، ويذهب هذا التفرق الذي نشاهده الآن، وهذا الذي نراه من بعض الزعماء، مَنْ غَضِبَ على الإمام ذهب إلى السلطان والعكس صحيح مَنْ غَضِبَ على السلطان ذهب إلى الإمام، لأن هذا لا يبقى عليه أثر والناس تعيش في ظل الواحد تحت راية واحدة تخدم وتنتظم وتعيش، وبعد الفتى واللتيا وافق الرجل وسلمته الدراهم كهدية لا كرشوة، فصار الرجل عندنا بإخلاص.

عندها رجعت إلى القابل لا أقول إلا إني خائف، وذات يوم جاءني الوالدين صالح بن أحمد وحمد بن سليمان ينصحاني وقالوا في نصيحتهما أننا نراك مجتهداً في الوحدة، فقلت لهم: نعم، أرجو أن يكون في الوحدة خير الكثير. قالوا: "نعم لكن ننصحك من هذا الاجتهاد الذي عدا طوره، فآل بو سعيد ما خدمهم إنسان إلا قاضوه بواحدة من اثنتين، إما القتل وإما السجن ونخاف عليك من ذلك"، فأجبتهم بما يليق بالمقام، وكان كثير من الناس يخوفونني بذلك.

مع اجتماعي بالسلطان سعيد أخبرته بذلك فقال: "يا أحمد لا يكون هذا مني ولا من قابوس، فأولئك الآباء كانوا غير متعلمين، وأنا وقابوس تعلمنا الكثير، فأبعد ذلك من خاطرك ويأبى الله إلا أن يتم نوره" وكنت قبل الانقلاب الذي انقلبه قابوس على أبيه قد

رأيت رؤيا تدل على السجن وبعد الانقلاب سجنني السلطان قابوس عشر سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، لا أعلم أنني قد أجمت جريمة ولا خطرت بقلبي يوماً ما، فكل شيء بقضاء وقدر.

قالوا سجنتم فقلت لست بضائري ،،،، سجنني وأي مهند لم يغمد

وفي شهر الحج من سنة ١٣٧٣ هجرية لم نشعر إلا والشيخ غالب بن علي الهنائي مثني من نزوى إلى القابل فتلقاه في (العاقل) كلاً من الأخوة حمود بن حمد وسعيد بن حمد الحارثيان، فقام سعيد بن حمد خطيباً أحفظ من خطبته يقول: "الآن ستلتاق أناس وجوههم وجوه البررة، وقلوبهم قلوب الفجرة، فشذ عليهم ... إلى آخر ما قال"، وكان يقصدني أنا في خطبته، فاجاه الشيخ عبدالله بن زاهر الهنائي الذي كان بصحبة الإمام وقال له: "يا شيخ سعيد أنك بهذه الخطبة تحرّض الإمام على الشيخ أحمد بن محمد، وكان صريحاً وأخبره عما في نفسه. وصلوا عندنا في القابل وأخذوا مجالسهم، تحصنت عنهم في الحصن ومعني قبيلة الموالك والدوكة وبعض من الحضر، فجاءني الشيخ علي بن زاهر فقلت: "ما تريد مني؟"، قال "البيعة"، قلت له: "لا أباع، صالح بن عيسى عندكم ويكفيكم"، في اليوم الثاني دخل علي الشيخ سليمان بن حمير النبھاني وقال "هذه فتنة نريد إطفاءها ولا نريد إشعالها، وأراك تحزبت وجمعت الجموع والإمام رجل طيب"، فقلت له: "حتى لا أؤخذ على حين غرة"، فقال لي: "الآن نحن سنقول للإمام ليخرج إلى بديّة حتى تذهب هذه الرّبشة أي الفوضى"، وكان ذلك يوم تاسع من ذي الحجة، فأصبحنا يوم عاشر معيدين، لم أشعر إلا وليلة الحادي عشر يصلني الشيخ علي بن سالم الصواعي بكتاب من الشيخ عبدالله بن زاهر الهنائي يقول فيه:

"إن الإمام قد عزم على مهاجمتك غداً لأخذ البيعة منك، فإما أن تصل عندنا غداً ونتلقاك حذري الواصل وإلا فانظر لنفسك مخرجاً.

في تلك الليلة أرسلت إلى ثلثة من الموالك وعزمت على الخروج إلى مسقط، وما قصروا جاءوا قبل الفجر بقليل، فحيث كنت والشيخ عبدالله وعلي بن سالم على تسامع، لأنه أي الشيخ عبدالله ووالده زاهر بن غصن لما افترقنا من اجتماع سناو المشار إليه سابقاً، جاءني كتاباً منه أنه دخل معنا في ذلك التضامن والعهد، فأخبرت علي بن سالم الصواعي ليتأخر في (الدريز) حتى يأكل وأنا هذه الساعة سأسافر. وفي تلك الساعة ركبنا ركابنا متجهين إلى مسقط، فأنخنا بسيح (المراني)، وحيث أنه كانت أيام عيد أمرنا أن يأخذوا لنا لحماً، لكن للأسف رجعوا بدون لحم، فأكلنا العوال والتمر ثم شددنا الرحال مسرعين وبتنا في (الكهلي)، ونشرنا منه وبتنا في (الزغ) ومنها نشرنا وبتنا في (الوطيّة)، ولا بد أن نعود إلى الأحداث ونحررها، ولكننا لم نجد السلطان سعيد الذي كنا متجهين لمقابلته وذلك لسبب وجوده في ظفار، أبرقنا له فأمرنا بالانتقال إلى الشارقة ومن ثم إلى ظفار لعدم توفر طائرة مباشرة تقصد ظفار.

الفصل السادس

وصلنا الشارقة وكان الحاكم بها صقر بن سلطان فلم نجده ولكننا وجدنا خاله رحمه، فنزلنا في الدار وأذكر أن الماء كان عزيزاً في الشارقة، ولا يوجد فيها إلا بيت الحاكم فقط والماء تجلبه الحمير وبقية البيوت كلها مبنية بالسعف، وكنا نقطع للحمير نأخذ منهم صناديق الماء للشرب، أما الاغتسال فكان شبه متعذّر. في اليوم الثاني قابلنا (وات) مدير الشركة البريطانية وأخبرني أنهم يرتبون سفري إلى صلالة، بعد ثلاثة أيام قابلني المعتمد البريطاني (في دي) وأخبرني أن سفري إلى صلالة سيكون غداً من مطار الشارقة.

سافرت ومعني الشايب سالم بن محسن الحارثي الذي هو زميلي وبقية الأصحاب من بينهم محمد بن سعود بن حمد الغفيلي ومنصور بن ناصر الغفيلي وفاءً بالعهد، وصلت مصيرة ونزلت في بيت عبدالرحمن البلوشي الذي كان مديراً للعمال وبقيت هناك ثلاثة أيام لقلة الطائرات المتجهة إلى صلالة، ولرداءة الجو في صلالة، وفي اليوم الرابع سافرت إلى صلالة ووصلتها ظهراً وتوجهت إلى الحصن، ويومها قابلت السلطان وأخبرته بالواقع كله بصراحة، فقلت له إن كان لك نظر في عمان فبسم الله، وإن لم يكن لك نظر فهؤلاء الذين جمعناهم سيتفرون، فقال: "في الحقيقة لو كانت المسألة جرت كما جرت في زمن الإمام الخليلي والشيخ عيسى يأمران بالمعروف وينهون بالمنكر، ويديرون شؤونهم بأنفسهم لكان في إمكاننا التغاضي، وأما اليوم فهذه منازعة ملكية نرى أنفسنا لا يمكن السكوت عن عمان، ولا نقدر أن نرى دولة أجنبية تنازعنا في ذلك وبن عطيشان في البريمي هو الداء العضال، ونشكرك على ما قمت عليه، فسترى منا ما تقر به عينك إن شاء الله، وأنا لا أزال مقيماً في ظفار الآن إذ كما تعلم أنها مخاطبات دولية وبريطانيا هي في الصدر، فالذي أراه أن تكون على حالتك، وهذه

الأحاديث التي تقال عني ألقى بها ظهر الحائط، وأنت تسير الهند لمدة أربعة أشهر وإذا رجعت إلى مسقط فإننا ملتقون هناك، وسنخرج إن شاء الله بتنسيق كامل".

خرجت عنه وذهبت إلى الهند وبقيت هناك أربعة أشهر، والمواصلات بيني وبين السيد سعيد مستمرة، فأخبرني أن العم صالح بن عيسى زاره هناك مندوباً عن الإمام، وأن ما اتفقا عليه هو هو، بعد أربعة أشهر عاد السلطان من صلالة ووصلتنا برقيته العصر، خرجنا بعد يومين إلى العاصمة، وصلناها واجتمعت به حالاً وأخبرني عما دار بينه وبين العم صالح، وسلمني وثيقة بخط الأخ سليمان بن حمد الحارثي وقال: "أنظر في هذه الوثيقة فما يمكنني عمله جعلت عليه نقاط وستنجزه أنت إن شاء الله، أما بالنسبة إلى صالح فإنني رددت إليه قرطاسته وقلت له لا حاجة لي بها، والآن نرى أن نمدك بستين عسكرياً يكونوا عندك ورتبنا لهم المعاشات وهم من القبائل بني رواحة والعوامر والممالك والدوكة"، فبقى الجيش عندي في القابل.

الفصل السابع

وكتب كتاباً الشيخ غالب بن علي هذا نصّه كما يرى: "فكان بغابر الأيام سرّاً، فنقله القضاء فصار جهراً". انتهى.

خلعنا القناع وخرجنا إلى القابل وبقينا بها وبقيت المداولات والمجادلات والضرب والرد والقليل والقال.

لكل إلى شاء العلى وثبات ،،، ولكن قليل في الرجال ثبات

ويا للأسف الشديد وجدت الكثيرين من الرجال منهم من أغري بالمال ومنهم من خوّف ومنهم ومنهم والكثير منهم بايع، فقامت عليهم بالملام ولكن بدون جدوى، وأنا غير حاضر فغيبتي سببت فراغاً، وأتذكر إني كتبت للسلطان وجاء جوابه: "أنت فيك الكفاية".

بالجملة تراجع القوم وبقي الحال على هذا الحال، ثم وصل المشائخ أولاد زاهر بن غصن، محمد وعبدالله وعلي، فقالوا: "جنّا لنجمع شملكم، فغالب في إمامته، وسعيد بن تيمور في سلطنته، ومنازعتكم أنتم لا وجه لها، فقلت لهم: "في الحقيقة إن هذا الأمر هو الذي قلتموه ولكن هذا لا يصلح أن يكون إلا في القابل لأنها العمدة، أما نحن نسير إلى المضيرب فلا"، ،، فبقيت المداولات والمجادلات على هذا الحال، وأنا القصد مني هو أن يقتنع هؤلاء المشائخ من غير أن يسخطوا. بالجملة ذهبوا إلى المضيرب واجتمعوا بالوالد صالح بن أحمد والعم صالح بن عيسى، فحضرُوا وجرى الخطاب بينهم، فكان أشد الأشداء علي سعيد بن حمد بن سليمان، وكثر الخطاب والضرب والرد، وبالجملة لم يجدوا منهم وجهاً، فعادوا الكرة منهم ساخطين غير راضين عليهم وذلك ما كنت أريده، لكن الأغرب أن الشيخ علي بن زاهر لما اجتمعوا بنا في مسجد

القابل كان أشد الأشداء علي في خطابه، وأنا في الحقيقة لا أهتم بشدّته ولكنني لا أريد إسخاطه، فدخل في المناجاة عندنا حمدون بن سعيد بن مصبح فتجادل هو وإياه وكفانا الله الأمر، ولا داعي إلى أن أقول قال وقيل له، أما الشيخ عبدالله بن زاهر فكنت وإياه على وفاق تام كما أسلفت سابقاً عن الكتاب الذي وصل منه ومن أبيه الشيخ زاهر بدخولهم معنا في حلف سناو.

الفصل الثامن

وكنت في ذلك الحين أتردد على القابل تمهيداً وتقريباً للأمر وتبشيراً بقرب انتظار الدولة الجديدة أو كما قيل الوحدة، حضرنا مع السلطان وحضر معي من هؤلاء القبائل وأنعم عليهم وما قصر، وإن كان إنعامهم مني مستمراً، فكنت لا أدخر عنهم شيئاً، وكثيراً ما كنت أقول لهم إن السلطان يسلم عليكم وهذا منه وهذا منه.

حضرنا مع السلطان سعيد بن تيمور والسيد أحمد بن إبراهيم و وترفيد القائد البريطاني، فقال السيد سعيد: "آن الآن ميعاد التقدم إلى عمان فكيف"، فأجابه السيد أحمد وقال: "أقول ثلاثة جيوش تخرج، وثلة من الجيش تخرج إلى (الحد) بقيادة الشيخ أحمد بن محمد ومن معه من القبائل، وثلة أخرى تخرج إلى آدم ويصحبها سلطان بن سيف الحوسني وحمد بن سيف الكلباني ومن معهم من القبائل، وثلة ثالثة تخرج إلى الرستاق بقيادتي أنا، فتكون ثلاثة جيوش"، أما وترفيد فلم يقل شيئاً بل أجاب: "إنكم أعلم بطبيعة البلاد وما تقولونه ننفذه كعسكريين، وقد كنت صامتاً لم أقل شيئاً، فسألني السلطان: لماذا لم تقل شيئاً، قلت له: "المناجاة بيني وبينك"، نهضنا إلى غرفة ثانية فقلت له: "أما إن كنت تريد أن يقاتلوك العمانيون فسيقاتلوك والحد بينك وإياهم إما لك وإما عليك، وأما إذا كنت تريد رأيي أنا فأقول لك بطريقة سرية شريطة ألا يطلع عليها أحد، أقول أن السرية الأولى ستمر إلى آدم وإلى نزوى، أما (الحد) فأرسل لها صخر بن حمد وأمرهم يخدمون الطريق ويضربون المدافع والبنادق هناك، ويظهروا أنهم قصدوا بالتوجه إلى أحمد بن محمد ومن ثم إلى نزوى، وأما الرستاق فاجعل لها (هنا بياض بقدر كلمتين) ... تقف في الحزم ومن هنالك منحدرًا للتشويش فقط، وأقول لك أن لا يختلف عليك اثنان ولا يراق دم مسلم، فسرية آدم ستأخذ نزوى عنواً وصنواً وبدون أي شيء، والآن إذا خرجت إلى المجلس الآخر أوهمهم أي السيد أحمد بن

إبراهيم و وترفيد أن الرأي هو رأي السيد أحمد، وأنني وأحمد بن محمد كنا نتكلم في موضوع آخر، فقال هذا هو الرأي الصائب بعون الله.

في اليوم التالي قال لي رأيت رؤيا البارحة، رأيت الشيخ غالب بن علي تقدم إلي وسلمني سيف الإمامة وقال لي أنني لم أحصل من هذه الدولة إلا على هذا السيف وها هو بيدك، فأخذته منه، وفي الحقيقة أننا استبشرنا بهذه الرؤيا.

الفصل التاسع

في الحقيقة مشّت الأمور على ذلك الحال، فصخر توجّه إلى الحد لقضاء مهمته، وقال جلالة السلطان إن هذا الأمر يبقى سرّاً إلى وقته، حيث توجّه إلى صلاة ونحن رجعنا إلى أوطاننا وقد أظهرنا أننا قاصدين إلى جعلان، وهناك سنلاقي جيش السلطان لنذهب بعدها إلى نزوى، فكان المجتمعون يتجمّعون ويفكرون وقابضون في جعلان بني بو حسن انتظاراً للجيش.

الفصل العاشر

طلبني السلطان إلى ظفار فكنت في طريقي إلى صحار مع السيد حمد بن سعود البوسعيدي، فوافانا الخبر باحتلال السلطان للبريمي فكان خبراً عظيماً، وصلت ظفار وبعدما سألني عن الحالة، فأخبرته بما يثلج الصدر ووجدته مستبشراً بأخذ البريمي.

(هنا افتقدنا مقدار نصف صفحة من المذكرة، وأعتذر للسادة القراء في ذلك، ولكنني سأحاول جاهداً البحث عما تم فقده، وفي الحقيقة لا توجد معلومات مهمة في تلك الصفحة، وإنما تتكلم عن قصة تنفيذ الخطة المزمع تنفيذها)

ثم يسرد الشيخ: فخرجنا متوجهين إلى نزوى وكفى الله المؤمنين شر القتال، وبتنا في مكان معروف ب (الحيل)، والغريبة أن الذين كانوا لا يريدون الخروج ضد الإمام وإلى آخره كما بيّنته في محله عنهم أنهم يتأهبون لينهبون السوق وإلى آخره، فأحضرتهم وقلت لهم: "قصدنا قصد ونجح القصد، فمن أخذ من مال الرعية فسيلقى جزاءه، ويمنع منعاً باتاً التعدي على أموال الناس بغير وجه حق، ولكن ما تجدونه في الحصن وهو بيت مال فهو لكم، وأنا اتفقت مع السلطان على ذلك. خرجنا من الحيل متوجهين إلى نزوى فوصلناها ووجدنا السيد ثويني وميجر دنيسن القائد البريطاني ومن معهم من الجيش، فسلموا إلي الحصن وخرجوا منه، فأرسلت للشيخ عبدالله بن زاهر أن يقصد بهلاء ويتولاهم فلم يكن هناك ثمة مقاومة عليه، بل الوالي خرج عفواً وصفواً. أرسلت عدي بن عبدالله البرواني إلى منح ليتولاهم، وهكذا بعثنا بالولاة حسب الاتفاق وما رسم بتلك القراطيس مع السلطان، وهكذا من شرقها إلى غربها فجاءني بعد يومين كتاب السلطان أنه قادم إلى نزوى كما تقرر، وأن الشيخ عبدالله يجب أن يكون في نزوى، وأن نرسل والياً إلى بهلاء، فأرسلنا الأخ سعيد بعد ثلاثة أو أربعة أيام - الشك مني - وصل السلطان برّاً إلى كرشا ومنها خيم في فرق فاجتمعت به وتحدثت معه عن كل شيء إلى آخره .

الفصل الحادي عشر

لما تحدثت مع السلطان في الخيمة كان مسروراً على نجاح الخطّة التي رسمناها بادي ذي بدء، فقال غداً نصل نزوى وسنخطب في الناس، والخطبة التي نريدها أكتبها لي وأتني بها ليلاً، فوصلته بها وحبذها، وقال أتركها عندي وغداً أعطيك لتخطب بها نيابة عني.

بالغد تلقيناه بقرب السوق فدخلنا وهو أمامنا، ولا تسأل عن السرور والجدل الذي ما بنا، فلما دخل قال الحمد لله الذي رد إلينا ما سرق منا، ثم دخل الحصن، وفي رأيي أن كل واحد يحب الوحدة ويحبذ الاجتماع، ولكن يجب علينا ألا ننسى أن الشيخ طالب بن علي الهنائي خرج من الرستاق إلى الخارج.

تناولنا القهوة وأكلنا طاسات الحلوى فقام السلطان وتوجّه إلى الجيش، ثم جاءني الشيخ عبدالله بن زاهر الهنائي وقال أن له حاجة سرّية فيّ، فأخبرته متى ما رجعت من عند السيد سنتحدث، توجهنا إلى مخيم جلالته، ثم خطب جلالته في الضباط والجيش باللغة الإنجليزية ولا أعرف ما في الخطبة سوى أنه رفع يدي اليمنى.

الفصل الثاني عشر

نرجع إلى أمر الشيخ عبدالله بن زاهر حيث قال لي: "إني والآباء والأبناء عندنا فكرة ونريدك أن تصوبها وتساعدنا فيها مع السلطان، قال إن الشيخ غالب خرج ولا بيده من الحل والعقد شيء، ولا نريد إهانته بل نطلب من السلطان أن يغفر له ذنبه، ويتجاوز كل ما كان له من ذنب، ويضمن عنه الوالد في كل ما يفعله أو يريده، قلت له: "أولاً السؤال أين الشيخ طالب"، قال لي: "لا تسألني عن طالب"، قلت له: "هذا غش بالسلطان وليس برأي إن كنتم ناصحين له، النصيحة أن يأتي غالب إلى السلطان ويقابله ويذهب معنا إلى مسقط مكرماً محشماً، ويكون هو المفتي للسلطنة بأسرها، وينال من الاحترام والإكرام فوق كل الشيوخ العمانيين، ويقيم في مسقط حوالي شهر مكرماً معززاً، قال لي: "ما نريده منك أخبرناك به"، قلت له: "ما تعودت غش السلطان ولن أغشه"، فقال لي: "إذن نريد منك ألا تخبر السلطان بهذا الأمر، وسنخاطبه بأنفسنا"، قلت له: "لا أسكت"، فذهبت إلى السلطان وقابلته وحدثته ورأيت أنه يريد أن يقبل رأيهم ومستتر بالنصر، قال لي: "لا أريد أن أجيبهم بما تقول إذا جاءوني، لكن هل لك أن تجيبهم به"، قلت له: "أنا مستعد بذلك على شرط أن تقول لي اجلس".

وبالجملة ونحن في الحديث جاءنا الخادم وقال لنا أن الشيخ زاهر وأولاده بالباب، فأذن لهم بالدخول ودخلوا، فقلت للسلطان: "لعل هؤلاء المشائخ لهم حاجة سرية فيك"، فقال عبدالله بن زاهر: "وهو كذلك"، وكنت منتظراً من جلالة السلطان أن يقول لي اجلس لا تذهب، ولكنني رأيته كأنه لا يريد رأيي الذي قلته له، فخرجت إلى الحصن لتنفيذ الأوامر ولعمل ما يلزم.

خرج المشائخ من عند السلطان وقد وافقهم وأعطوه الضمانة، وجاءني الشيخ عبدالله في الحصن وأخبرني بموافقة السلطان، ثم بعد ذلك أخبرني السلطان عما قاله الشيخ

عبدالله وأنه قبله، فقلت له "دسّوا لك الجمرّة في الرماد"، بعدها توجّه السلطان إلى البريمي وأنا بقيت في نزوى لتثبيت الأمور، ثم بعدها توجهت إلى منح ومن منح توجهت إلى بهلاء ثم إلى سمائل فبدد بعدما جعلت جميع المسائل على التمام.

الفصل الثالث عشر

بعدها وصلنا العاصمة جاءت مشائخ أهل عمان كلها تواجه السلطان وتعلن تأييدها له وتشكره على الوحدة والكل مستبشر، وأنا في نفسي شيء، ثم خطبهم وتكلم معهم قائلاً: "إن البلاد بلادكم والولاء والقضاة منكم، فأمرؤا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وأقيموا شعائر الدين وعلينا مساعدتكم وبذل المال لكم"، وهم على ذلك كلهم راضين علماء هم وجهالهم.

الفصل الرابع عشر

كل رجع على بلاده والأمور تجري على هذا السنن، وبعد مضي ثلاثة أشهر بدأت الدعايات أن الإمامة باقية، وأن طالب بن علي وصالح بن عيسى جاؤوا بقواتهم، وأن العم إبراهيم بن عيسى سيتلقى كتيبة من الخارج، والقوات يأمر بها الشيخ طالب الغربية ويجتمعوا في مكان ما، فكتبت للسلطان كتاباً فيه:

أري تحت الرماد وميض جمرٍ ،، فأخشى أن يكون لها ضرام
وأن النار بالعودين تذكوا ،، وأن الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفؤها تحني حرباً ،، مؤججةً يشيب لها الغلام

واستمر الحال على هذا ستة عشر شهراً، فجاء جنود ونزلوا بصور، وتلقاهم العم إبراهيم، نعم وكان قبل ذلك جاء الوالد محمد بن عبدالله السالمي (الشيبية) وقد كتب كتاباً للسلطان وأحمد بن إبراهيم أنه عاد إلى بيته وأنه يستعيز بالله من شر الفتن والباغين والمعتدين، والكتب موجودة عندي، فكتبت للسلطان هذا من المستبعد ولا أظنه يجوز، لكن يبدو أن السلطان صار في حيرة من الأمر ومن هذه الحركة، لأن الشيخ زاهر وأبناءه ضامنون عن الشيخ غالب والسلطان يبدو كأنه مطمئناً، والسيد أحمد بن إبراهيم كان رأيه بعدم مؤاخذه الشيبية بشي أو يقال له شي. بالجملة أن الشيبية محمد بن عبدالله السالمي انضم إلى العم إبراهيم بن عيسى ببلد الظاهر، وأنا بنفسني أرسلت إليه مع رجوعه من الغربية أن أريد أجعل بينه وبين السلطان وفاقاً، ولكن قال: "سبق أن المشائخ تكلموا معي في هذا الموضوع والأمر بيدهم".

حضر كثير من القبائل في بلد الظاهر مع العم إبراهيم، ونحن بدورنا كتبنا لكثير منهم وحضروا كذلك، لأننا لا نعرف المقصد، والظاهر أن إبراهيم كان ينتظر طالب وطالب لم يصل، ويقال أنه خرج من الغربية بقوات في لنش، ولكن القارب انكسر في البحر

وعاد.

أرسل السلطان أخيه طارق مع بعض القوات إلى القابل، فبقيت المراسلات بيننا وبين العم إبراهيم، وذات ليلة جاءني محمد بن سعود بن حمد ومحمد بن حمد ود دغمال بالقابل، وقالوا أن السيد طارق نراه وصل ونحن لا حرب معنا ضد أهل الظاهر ولا نقتل جماعتنا، فقلت لهم هذا الأمر لا تظهروه، ولا تظهروا الجزع، أما أولاد شمس أهل جعلان وغيرهم من وهيبة والحرث بموالكهم والدوكة فإنهم مستعدون للقتال، ونحن نسيّس الأمور حتى يخرج إبراهيم من الظاهر"، خرج العم إبراهيم من الظاهر ليلاً بعدما وصله صالح بن أحمد وحمد بن سليمان والأخ خليفة بن علي وسالم بن محمد الحرث، فخوّفوه عاقبة الأمر قاصداً سفالة إبراء، حيث أرسلنا إلى أهل إبراء بما معنا من الكلام، فهم معنا والأقل علينا، فضايقوا إبراهيم حتى خرج من عندهم قاصداً سمد، فأشار إليه بعض أصحابه أن يتوجّه إلى السلطان، فتوجّه إلى السيب فلما وصل العاصمة قبضه السلطان هناك، فقالوا: تمّت .. قلت في نفسي: بعدها لم تتم لأن النار ذرّ عليها الرماد، فكتبت للسلطان بما في نفسي.

لم تمض مدة طويلة من قبض إبراهيم حتى وصلني كتاب من السلطان يقول فيه: "أن طالب وصل إلى منطقتهم، وأظنّه في وادي العين أو وادي العلا، وهناك التحق إليه غالب وقال لزاهر بن غصن رد الضمانة التي ضمنتها عني، وأن زاهر كتب للسلطان أن يرد الضمانة، لأنه غير قادر على غالب"، فكان نفسه ما توقعته بادي ذي بدء . هنا دعا السلطان إلى الشيخ سليمان بن حمير أن يصل العاصمة، وبقي معه ضيفاً، والمراسلات من المشائخ غالب وطالب تنهال إليه يؤملوه ويخوّفوه وإن كان السلطان لم يأخذ عليه شيئاً - فذات يوم كان قاعداً وجاءه بعض مشائخ عمان الذين استخلصهم السلطان فقال له: "الذي عندنا لك من النصيحة أن تلتحق بغالب وطالب، وإلا فسيكون مصيرك مصير جدّك سليمان بن سيف، فأغروه، هل يقصدون نصيحتة، الله يعلم بهم"

خرج الشيخ سليمان من العاصمة مساءً، فالتقى بجنود السلطان متبدلين من كتيبة إلى أخرى بسيح الكدس، فأطلق عليهم النار هو وخدامه فأردى منهم ثلاثة قتلى، والتحق بالمشائخ غالب وطالب وعظمت الفتنة، فتضاربوا هم وطارق من مكان إلى مكان، ثم أمر السلطان السيد طارق أن ينسحب من نزوى ويتركها لغالب، والظاهر أنها مكيدة حربية، حيث أنه كرّر عليهم بعد يومين وأدى الحال إلى استعادتها من أيديهم بشكل نهائي، فما عدا مما بدا.

كتب إلي السلطان بهذا وأنهم ذاهبون إلى نزوى، وأن نتيقظ في الشرقية ونعرف الأمور كلها، وكتب لي أن صدقت فيما قلت، ولكن الأمور مقدرة، زحفت الجيوش إلى نزوى وأخذتها والشيخ سليمان بن حمير هناك والعلماء أفتوا الإمام بما أفتوه به، وأخيراً خرج الإمام من نزوى تاركها وتوجّه إلى الجبل الأخضر، فبقي الحصار بالجبل الأخضر، أما الشرقية فبقت هادئة هذه المدة، ونحن بقدر استطاعتنا قائلون ونجتمع بالناس بين الآونة والأخرى، وعلى كل حال تدخلت الدولة البريطانية في الجبل الأخضر بطلب من السلطان، فكتب لي جلالته يوماً: "نريدك أن ترسل رجلاً إلى الجبل الأخضر ليكشف الحال"، فأرسلت حميد بن برغش فطلب منهم أن نتوصل بالصلح بينهم وبين السلطان، فكان جوابهم أنهم اشترطوا شروطاً غير معقولة، ورسولنا لم يجد هناك حصاراً يُذكر، وأن الرز والتمر والحلوى يُساق إليهم يومياً ويمر إلى أولئك القابضين.

هذه السنين كلها مشحونة بالأحداث والكوارث، وما أخلوا أن تكون بريطانيا وراء ذلك، لأنهم يتحدثون عنها بأشياء كثيرة، وبالجملة انحلت مسألة الجبل وفرّ غالب وطالب وسليمان متجهين إلى الخارج، فبقي حرب الألغامات، ثم أفلت الأمر من يد الإمامة كلياً، وأصبح الشيوعيين هم الذين يثيرون الشغب وثورتهم قائمة في ظفار.

بقي الحال هكذا حتى أنني عرضت للسلطان كتباً وقلت له أن الشيوعية يهددون ويتوعدون، وعرضت عليه منشوراتهم، وهو يتأمل آمالاً والأمر يمشي، حتى كنت في المرة الأخيرة ذهبت إليه ولما كنت في العاصمة وصلني الشيخ سلطان بن سيف

الحوسني بكتاب من ولده هلال ومعهم كتاب من السيد قابوس، وهو في حد ذاته كلام جميل وأمل جميل، وقال لهم حادثوا أحمد بن محمد، قلت لهم: "أنا الآن متوجّه إلى ظفار وسأقابل السيد قابوس وأعرف ما معه".

الفصل الخامس عشر

وصلت مع السلطان سعيد فعرض عليّ ثلاثة كتب، أظنّه واحد من مَكْسُولٍ والثاني من بريطانيا والثالث كبير لا يستهان به عن عمان وثورتها، وكلّهن قد كتبن باللغة الإنجليزية، وأظن أن هذا الاجتماع قد تم في شهر ربيع الثاني لعام ١٣٩٠ هجرية، وقال لي: "أريدك أن تكشف حالة قابوس، وماهي النوايا التي ينويها فيّ، هل هي نوايا سالم بن ثويني في ثويني أو ما يريد"، فقلت له: "أعذر لك من ذلك، لأن لنا وصاية من جدنا ألا نتدخل بين أولاد السيد سعيد بن سلطان بعضهما ببعض، ولكن لك عندي نصيحة إذا تقبلها، قلت له: "ولّي ولدك رئاسة الوزراء واجعله يخرج يتفقد أحوال عمان، وبهذا تنكسر شوكته إن كانت له نيّة، قال: "إذن نجعله في الأمر الذي يريد والأمر الذي نحذر عنه، قلت: "لعل القائلين يريدون وقوع الشر بينك وبين ابنك"، قال: "لا بأس ولكن ادخل مع قابوس لعك تستنتج منه شيئاً، ومباحاً لك أن تدخل عليه في كل وقت"، دخلت على السيد قابوس فأخبرني بكتابه لهلال بن سلطان وأجبتة بما عندي، ثم ذهبت إلى السلطان ثانية وحالاً سألني عن قابوس، فقلت له: "لم أفهم منه شيئاً، ولا كاشفني بأي شيء"، فماذا عسى أن أقول إلا هذا، فقابوس له نيّة الخير وكلامه جميل، ونحن راغبون فيه ولا نكسره على حال، حفاظاً على هذا المُلْك وعلى هذا السعي الذي سعيناه أن يتبدد هباءً، وسعيد بن تيمور لا يهون عندي فهو عزيز، ولكن شيئاً واحداً هنا والذي أتخوّفه، إنني أرى رؤيا تدل على السجن فلم أرى من السلطان شيئاً من ذلك، والسيد قابوس كذلك لم أرى منه شيئاً، ومتجنباً معارضتهم، فمن أين هذا السجن.

قلت في نفسي سأختبر السيد قابوس بشيء واحد إذا كان له نيّة فيّ أو لم يكن، فكتبت له كتاباً هذا ما أطلبه منك، فقلت في نفسي إن صحّت الرؤيا فلا يمكن أن يكتب لي، وإن كذبت الرؤيا فحالاً سوف يكتب، السيد قابوس كتبها وأنا اطمأننت من

السجن وعدت إلى العاصمة، ثم رجعت كرة ثانية فأطلعني الشيخ هلال بن سلطان على كتبه المتكررة والتي قال أنها ترسل إليه بواسطة الشنفري فيما أظن، فقلت له: "مزق هذه الكتب ولا تدعها تبات عنك ليلة واحدة، ومزقت بعضها وأرميتها في الحمام حفاظاً على السلطان قابوس.

الفصل السادس عشر

تقدم قابوس إلى أبيه بمساعدة البريطانيين فأرغمه على النزول من الحصن في ظفار، وإرغامه على الخروج من عمان كلياً، وتولى هو عن أبيه فبدت تصلني تهديدات من الإنجليز وكلها تتوعدني بالسجن وإلى آخره، وأنا أستبعد جميعها إذ لم أعارض أحداً بشيء، وما عارضت الإنجليز في واحدة، قالوا أنهم يريدوا أن يبدلوا الحكم في عمان، وأنهم يريدون السيد طارق لتولي الحكم، قلت لهم: "كيف تريدون طارق والسيد سعيد عنده ولد، أما بهذه الصفة فلا أراكم تأخذون خيراً بخير، فقابوس يقف عنده خمسة آلاف من الشرقية فتكون الفتنة التي فرتم منها!!"، قالوا: "من لنا بتوصيل هذا الخطاب إلى السيد قابوس؟!"، قلت لهم: "ذلك فالإيكم"، والحال يمشي هكذا. وكنت مرة بالعاصمة فجاءني ولد من آل بو سعيد وأظنه حمود بن علي، قال: "إن السيد ثويني يدعوك إلى الوصول إليه وأن العائلة كلها لا تريد السلطان سعيد، وقريباً سيتولى ثويني رئاسة الملك"، فتوجهت إلى السيد ثويني بعد العتمة حسب الطلب الذي تقدم به، فأخبرني بما عنده وتحدثت معه بما عندي، قلت في نفسي هذا كله لا يحتاج إلى سجن.

نعود إلى تولي السلطان قابوس الحكم في سنة 1390، تولى السلطان قابوس الحكم وفي الحقيقة أننا فرحنا وفرحت البلاد، وكنت كلما خرجت من القابل متوجهاً إلى مسقط وجدت المعارضة من الإنجليز، فأشيع أن السلطان قادماً إلى العاصمة، فأرسلت إليه الأخ خليفة بن علي والعم علي بن عيسى فتلقاهم الجيش في ثلاثة أمكنة يسألونهم إذا كان أحمد بن محمد موجوداً، فسألوهم ما الطلب، فقالوا: "أننا لا نريده أن يصل العاصمة وسوف نقبض عليه"، بالجملة وصل الأخ خليفة والعم علي العاصمة فأرسل إليهم السيد أحمد بن إبراهيم وطلب منهم الرجوع، وقال إن الأمر هنا ليس في صالح أحمد بن محمد ولا في صالحكم فارجعوا خوفاً عليكم وعلى أرواحكم .. ورجعوا.

هنا تحققت أن الرؤيا ستصدق، بقيت في القابل فبقيت بين أمرين، بينما أخرج من عمان حفاظاً على نفسي وأسير على رأي البعض، وبين بقائي ويفعل الله ما يشاء ،، فبقيت.

وصلني كتاب من السلطان يقول فيه: "أننا عزلناك من كل شيء كان معك وألا تتدخل في السياسة .. وإلى آخر ما كتبه"، وبلغني أن الكتاب كان بإيعاز من الشيخ سعود بن علي الخليلي ومن الأخ سعيد بن حمد الحارثي، والأخ سعيد كان هو الوالي في تلك المناطق، فبقيت سامعاً مطيعاً لا أحرك ساكناً، ومتوقع للتهديد الذي يصلني من البريطانيين.

بقي الحال على هذا إلى شهر شوال من سنة ١٣٩٠ هجرية، حيث وصلني كتاب من السيد طارق يدعوني بالوصول، وصل به الأخ سليمان بن محمد الحارثي، وأخبرته أنك تدعوني وأن هذه الأخبار هنا، قال: "السيد طارق لا يرضى فيك"، وأظن في مدحه. توجهت وإياه معاً قائلاً أرى بي ويقضي الله ما يشاء، ما إن وصلت إلى المناخ المعد لي حتى أحاطت بي العسكرية، وذلك بعد ساعة من وصولي وقيل لي ممنوع الدخول والخروج، فلما أرسلنا إلى (بياض بقدر كلمتين)، قال إن السيد طارق ليس عنده خبر بشيء، وهذه المسألة ستختلف فأمدنا بالأكل جزاه الله خيراً.

بعد يومين دعي بأصحابي كلهم وبقيت بنفسي، أما الولد عبدالله بن حمدون فقد كتب أنه يرفض خروجه عني، وأنه سيبقى عندي كان زين أو شين، وبقي عندنا ومعني خادمي، فكان من حق أحمد بن عبدالله الحارثي أن أشار بأن يُخرجوا الخادم من عندي ومعه أسراري وسيخبرهم بها، فأخرج وبقي في بيت أحمد بن عبدالله. بقينا نحن هناك مدة لم تطل كثيراً، ثم دخل علي يوماً ما الشيخ هلال بن علي الخليلي وقال أنه اتصل بالسلطان ووجده غضبان عليك يا أحمد غضباً شديداً، فما الذي أغضبه، وما الذي قيل له، وما الذي أستوجب السجن يا شيخ هلال ،، كله غير مفهوم، إلا أنك اسكت وستكون الأمور عدله، والآن فإن أصحابك سيخرجون وأنت

ليست لك رخصة في الخروج، قلت له إن شاء الله. بقيت هكذا شهراً، وكان خلال هذا الشهر يمدنا العميري بالأكل من بيته، حيث كان يغامر بنفسه، وكانت المرقعة تندحق في ثيابه، عفى الله عنا وعنه وجزاه الله أفضل جزاء.

عاد السلطان من ظفار وبقي في مسقط، وبعد ثلاثة أيام حُمِلنا إلى ظفار وسجنونا في المعمورة ومعنا البلوش (.....) وكانوا خمسة وثلاثين بلشياً الذين وجدنا منهم كل الأذى، بقينا ستة وسبعين ساعة بدون أكل إلا ماءً حاراً، وكان هناك من جملة الحرس يقال له مسعود، ما أحفظ اسم أبيه، قال سأجيئ لكم بقرون موز وفيفاية واحدة، شريطة ألا تخبروا أحد، قلت له: "متجمل"، ، بقينا نقتات تلك الفيفاية والموز طيلة الست وسبعين ساعة، ثم وصلني فوراً القائد البريطاني، وقال أنه الحاكم العسكري في المنطقة، وأنتك تعد نفسك سجيناً، قلت له إن شاء الله.

وكان من جملة أذية أولئك البلوش أننا ندخل بعد المغرب في حجرة فيها نافذتين، وكل نافذة يستبدل فيها عسكري بعد ساعة، فهذا يتبدل مثلاً في النصف الأول من الساعة، وهذا يتبدل في النصف الثاني، ويكون كل ليلنا لا ننام فيه أبداً، ومن أذيتهم أيضاً أنه كان هناك سراجاً متقدماً مضيئاً دائماً طول الليل، ففي يوم تعبنا من البعوض وغمضناه قليلاً، فجاء الحراس إلينا بغضب وشراسة وقالوا: "هل لكم نية في الهرب"، قلنا لهم: "لا ولكن هذا السراج أغمضناه لشدة البعوض"، قالوا: "لا يمكن، اجلسوا ببعوضكم"، وبعد الست وسبعين ساعة وصلنا طبيب ودخل معنا ورأى حالتنا، وقال: "إنني أرى حالتكم غير طيبة، فأخبرناه بأننا لم نتذوق شيئاً خلال الست وسبعين ساعة التي قضيناها في السجن، فنادى كبير العسكر وقال له: "لماذا لم تطعموهم؟!"، فقال: "هذا ما أمرنا به الكابتن البريطاني"، فجاء لنا بالأكل، ذلك الأكل الكسيف فامتنع من دخوله حلوقنا، وفي اليوم الثاني كانوا يحضرون الأكل لنا بين الحين والآخر متى أحبوا، فبقينا على هذه الحالة ثلاثة أشهر وعشرة أيام، جوع وتعذيب وأنواع من النكال، إنني أنزّه نفسي عن التحدث عنها.

الفصل السابع عشر

أخبرنا البلشي مسعود أن السلطان سيصل إلى ظفار بعد يومين، وأني من رأيي لكم أن تكتبوا كتاباً للسلطان قبل أن تموتوا على هذا الحال، والسيارة التي معنا أخذها البريطانيون من يومين حتى لا يذهب البلوش بها إلى السوق، وأخبرنا الكابتن بالأمس أنه ممنوع حمل كتاب من عند أحمد بن محمد إلى السلطان، ولكن أكتبوا كتابكم وإني سأجته في تبليغه، فكتبنا كتاب للسلطان وأدرجناه في كتاب الشيخ بريك بن حمود الغافري قائلين له لينظر الحالة التي نحن فيها وعليها ثم أمره وما يريد، ما قصر بريك توجه بالكتاب إلى جلالة السلطان، وقال له: "سر مسرعاً وانظر ما هنالك"، وصلنا بريك الغافري العصر ووجدنا في حالة سيئة من التضييق والجوع والحالة الكسيفة، وفي الحقيقة أنه بكى فودعنا، فما مضت إلا ساعات ورأيناه قد رجع وجاء بالأكل وكل ما نحتاجه والسكاكين وغير ذلك، وقال: "إن السلطان يعتذر لكم وأنه لا علم له بالواقع، فهذه الأشياء كلها أحضرتها وقد أمرني جلالته أن ألتمس لكم بيتاً في صلالة، وأهئ لكم سيارة بسائقها لتتجولوا عليها"، وأمر البلوش في ذلك الوقت برفع تلك المضايقة، فشكرنا له حسن صنيعه وجزاه الله عنا ألف خير، وأخبرنا أنه سيعلم القائد فورد ويرجع إلينا، وأذكر قصّة طريفة منه أنه نسي مقاص علب الفروت، فرجع بها إلينا بعد المغرب، فانظروا إلى هذا الكرم وهذه الشيمة، نعم وأذكر أنه أعطانا مئة ريال إذا احتجنا لأي شيء وقال متى ما أردتم الزيادة أخبروني، وأذكر مقابل ذلك أن البريطانيين سلبونا خمسة وعشرين ريالاً من جيوبنا.

بعد يومين رجع إلينا كاسف البال وأخبرنا بأن القائد فورد والقائد مكسول لم يوافقا على نقلكما، وأنهما اتفقا مع السلطان على ذلك، والذي يقدر أن يرفعوا عنكم مضايقة البلوش (.....)

وفي الحقيقة أن المرض في هذه الأيام أخذ مني مأخذاً عظيماً والطبيب الهندي يتردد إلينا دائماً، فقال: "من الضرورة نقلكم إلى الهند فيما أرى، وسوف أكتب لجلالة السلطان وأفكر بالكتاب كيف يصل معه، وهل سيسلم من يد الإنجليز أم لا!، فقد أصبحت نوايا الإنجليز فيك معروفة وغير مجهولة، فقلت له "اكتب والله المستعان."

لم تمض إلا يومان فقط ووصل كتاب جلالت له بالموافقة، ثم وصل إلى عندي الكابتن البريطاني وقد نسيت اسمه وقال: "الآن قد وصل أمر السلطان بنقلك إلى الهند فمن تريد أن يصحبك من عمان، فإنهم يفكرون هل تمر مسقط أم لا"، فقلت له: "ولدي صالح وخادمي مبارك"، وبعد أيام نقلنا إلى مسقط على طائرة، ذلك النقل العسير،، وصلنا العاصمة واجتمعت بالأولاد محمد وصالح، وبعد أيام سافرنا إلى الهند بالطائرة على أمل أن بعد رجوعنا لا سجن علينا، وبعد ما تم العلاج أخبرناهم وأخرونا تسعة أشهر وبضعة أيام، ثم عدنا إلى العاصمة وأعادونا إلى السجن مرة ثانية أنا وعبدالله بن حمدون، أما صالح ومبارك فقد أذن لهم بالخروج، فبقينا كذلك ثم نقلنا إلى بيت في القرم وهناك حصلنا على بعض الراحة، ومضى علينا عشر سنين وثلاثة اشهر وثلاثة أيام منذ قبض علينا إلى أن طابت الأنفس، و والله العظيم أنني لا أعلم أدنى ذنب أو جريمة اقترفتها إلا المعروف والإحسان الذي قدمته فيهم كما ترى أيها القارئ من أوله وإلى آخره، وتشهد له كتب السلطان الموجودة عندي كلها. أما الذين هم اشداء علي من أولاد عمي الذين يقال لهم أولاد عم، ف (أ بن ع) غطى العلايم، وكان يقول صدقاً وكذباً لا يبالى معه، نماماً لا يبالى في الكذب هو ومن شايعه، والثاني (ز بن ح) وإن كان يتظاهر فيما عندي بغير ذلك، لكن أخبرتني عنه الأيام،

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) صدق الله العلي العظيم وقال ﷺ (ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله)

صدق رسول الله، والحكم بيننا هو الله عز وجل يوم القيامة، يوم ينادي المنادي لا ظلم اليوم، هنا عجيبة من نفسي في وقت تلك الشدائد التي ألقاها ويقال أنها من السلطان قابوس أنشد قول الشاعر:

وأعجب من ذا وذا أنني ،، أراك بعين الرضا في الغضب

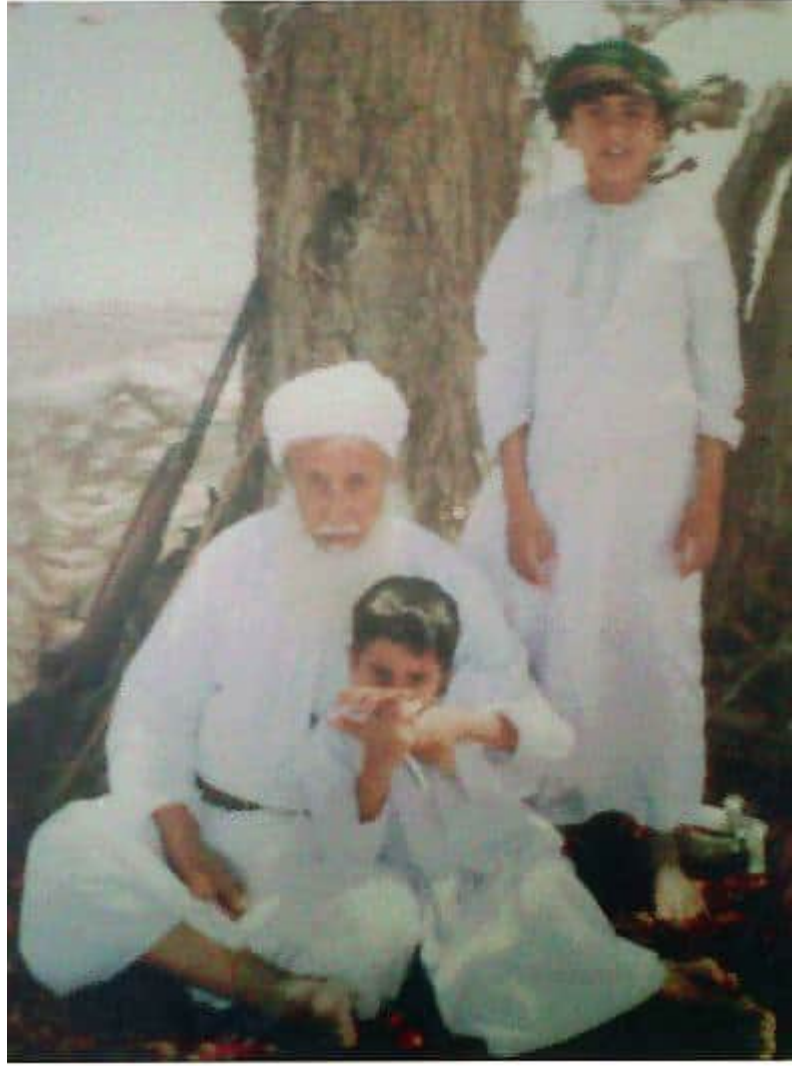
وأبتسم ضاحكاً، وانتهى جَوْلَانُ القلم وأحفظ غيره وغيره الكثير تجاوزته، إذ لا أحب تأريخه، وهذا ما كتبته ويمكن أن يقرأه القارئ، يكاد يكون قطرة من غيث.

النهاية

الملحق



من اليسار: الأمير أحمد يليه أبناءه سلطان فسعود ثم الشيخ علي بن عيسى عم
الأمير أحمد.



الأمير أحمد في رحلة برية بين أبناءه لابساً المحزم ومسنداً البندقية (التفق) على جذع الشجرة.



دهيم خيل الشيخ وعليها خادمه سرور، وكان الشيخ رحمه الله يعزّ خيله في مقام
أبناءه.



دهيم وعليه سعود ابن الشيخ



الصورة الأولى للشيخ الأمير أواخر عمره رحمه الله.

الصورة الثانية للشيخ الأمير بجانب السيد أحمد بن براهيم في الخمسينات.

الصورة الثالثة من اليمين الشيخ الأمير ثم الشيخ عبدالله بن حمدون الحارثي فالشيخ صالح ابن الأمير، وهذه الصورة التقطت عقيب خروج الأمير وابن أخته الشيخ عبدالله بن حمدون من الحجز السياسي.